

# حديث طلع علينا رجل شديد بياض الثياب

كل ما في الوجود فإن الله تعالى هو الذي خلقه وقدره تقديرا، وقال تعالى: { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِبَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَبْرَأُهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } يعني: علم الأشياء المستقبلة يسير على الله، وكل مصيبة تحدث فإنها مكتوبة في اللوح المحفوظ، في كتاب مقدر، وقال تعالى: { وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } يعني: إن علم ذلك على الله تعالى يسير. وقال تعالى: { فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ { هَذِهِ إِرَادَةُ كُوَنِيَّةٍ } فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَسْرُخُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ } ويقبل بقلبه إلى الإيمان، وذلك فضل منه ورحمة منه. من هداهم الله، وأنعم عليهم، وأقبل بقولهم إلى طاعته؛ فإن ذلك فضل منه { فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَسْرُخُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلُهُ { يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَّجًا كَائِنًا يَصَدَّعُ فِي السَّمَاءِ } يجعل صدره ضيقا فلا ينشرح للإسلام؛ وهذا فضل منه وعدل، فمن هداه الله تعالى؛ بذلك يفضله، ومن أصله؛ وذلك بعلمه. في حديث جبريل الذي في صحيح مسلم رواه مسلم في أول كتاب الإيمان عن يحيى بن يعمر أحد علماء التابعين قال: كان أول من قال بالقدر عندها: معبد الجنين فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء؟ فوقن لنا عبد الله بن عمر داخلا المسجد الحرام، فاكتفيته أنا وصاحبي، وطننت أن صاحب سikel الكلام إلي، فقلت: أبا عبد الرحمن إنه قد خرج علينا أناس يقرءون القرآن، ويتفقرون العلم وأنهم يزعمون: أن لا قدر، وأن الأمر أتف. يعني: أنهم يزعمون أن الله لا يعلم الأشياء حتى توجد، وأن كل أحد يخلق أفعاله، وأن الله لا يعلم الشقي من السعيد. فقال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وهو براء مني. ثم قال: والذي نفسي بيده.. لو أنفق أحدهم مثل أحد ذهبا ما قبله الله منه؛ حتى يؤمن بالقدر خيره وشره. ثم حدثهم عن أبيه حديث جبريل المشهور: أن جبريل جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: { طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر } يعني جديدا الثياب، أسود الشعر، { لا يعرفه أحد منا، ولا يرى عليه أثر السفر } ليس من أهل البلد فنعرفه، وليس من أهل البلاد البعيدة فنرى عليه أثر السفر. إذن فما هو ليس من أهل البلاد المدينة وليس من أهل البلاد الأخرى، سأله عليه وسلم أسئلة، ومنها: قال: { أخبرني عن الإيمان فقال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. فقال: صدق. } صدقه جبريل فدل على أن الإيمان بالقدر من حملة أركان الإيمان. خيره وشره: يعني تؤمن أن الحوادث التي تحدث مقدرة، وأن المصائب مقدرة، وأن الخصب والجدب مقدرة، وأن الأمراض والصحة مقدرة، كل ما يحدث فإنه مكتوب ومقدر من الله تعالى، خيره وشره. كذلك ورد في الحديث: أنه صلى الله عليه وسلم قال: { آمنت بالقدر، خيره وشره، وحلوه ومره } أي ما يناسب وما لا يناسب، آمنت بأن ذلك مقدر ومكتوب قبل أن يوجد الخلق. ورد في الحديث: { أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيمة. فجرى في تلك الساعة بما هو كائن } كتب الله تعالى في أم الكتاب كل ما هو كائن، قال الله تعالى: { يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُبْيِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ } الذي هو اللوح المحفوظ. والمحو والإثبات إنما يكون في صحف الملائكة، الملائكة موكلون، يكتبون أعمالبني آدم، فيكتبون كل ما يقوله وكل ما يعمله، ثم بعد ذلك يقول الله تعالى: امحوا هذا، وأثبتوا بهذا. فلا يثبت إلا ما فيه ثواب أو ما فيه عقاب، وأما الذي لا ثواب ولا عقاب فإنه يمحى { يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُبْيِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ }. في دعاء القنوت الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم الحسن قوله: { وَقَنِي شَرُّ مَا قَضَيْتُ } فدل على أن جميع الشرور فإنها قضاء من الله تعالى، وأن العبد يدعو الله تعالى، والدعاء لا ينافي القضاء، الدعاء يكون أيضا من القدر ومن القضاء، وكذلك الأفعال كلها من القضاء والقدر. روى أن رجلا قال: { يا رسول الله.. أرأيت أدوية تتداوي بها، ورقى تسترقى بها، هل ترد من قدر الله شيئا؟ قال: هي من قدر الله } يعني: أن الله تعالى قدر أن هذا المرض يستعمل له الدواء الفلانى، فيكون علاجا له يغىد منه، وكذلك قدر أن الإنسان يتکسب في كذا فيحصل له كسب وربح، وأن هذا يتعاطى كذا وكذا فيحصل عليه خسران مبين، فيكون بذلك معرضا للثواب أو للعقاب. نقول: إن كل ما يحدث في الكون فإنه بقضاء الله وقدره.